الفصل السابع

حرب الاستقلال الأمريكية

فى اواخر القرن الخامس عشر وفى عهد الملك هنرى السابع بدأ الانجليز يشاركون فى حركة الكشوف الجغرافية بإرسال حملة بحرية على رأسها مغامر ايطالى يدعى "جون كابوت Cabot" وترتب على ذلك الوصول إلى "نيوفوند لاند"، ومن هنا تملكت انجلترا ما عرف بعد ذلك باسم الولايات المتحدة الأمريكية حيث أسس الانجليز أولى مستعمراتهم هناك فى عام ١٦٠٧م والتى عرفت باسم "جيمستون" وأوجدوا حكومة لهم هناك تحت التاج البريطانى ثم توطد استعمارهم هناك نتيجة للهجرات الانجليزية المتتالية خصوصا من البيورتان Puritains (المطهرون) إلى هذه المناطق بسبب اضطراب الأحوال السياسية وحركة الاصلاح الدينى فى بريطانيا حتى وصلت المستعمرات الانجليزية إلى ١٣ ولاية كان أكثرها قدما مستعمرات الشمال وهى "ماشوشيوتس" و"بنسلفانيا" وانجلترا الجديدة وكانت هذه المستعمرات تابعة لملك انجلترا فى ظل حكم ذاتى تتمتع به.

وقد رأت الحكومة البريطانية أن تربط تجارة مستعمراتها فى أمريكا معها فقط، ولكى تصبح هذه المستعمرات سوقا رائجة للمصنوعات الانجليزية تحصل منها على أكبر ربح تجارى فرض عليها عدم انشاء صناعة للحديد.

وكان الحكم الانجليزى فى هذه المناطق يعتمد على ثلاثة مراكز رئيسية وهى الحاكم والمجلس النيابى والمجلس الاستشارى، وكان الحاكم هو المسئول الأول عن رعاية شئون ولايته، والمحافظة على الأمن فيها، وكان يتم تعيينه بقرار من ملك بريطانيا.

وكان المجلس النيابى ينتخب من قبل أهل الولاية ولفترة تنحصر بين عام وعامين، وتنحصر مسئوليته فى سن الضرائب والاشراف على الموظفين وتقدير رواتبهم أما المجلس الاستشارى فكان بمثابة سلطة استشارية فى الولاية لها الحق فى الاعتراض على قرارات الحاكم والمجلس النيابى.

قد استطاع المجلس النيابى أن يلعب دوره من أجل أضفاء مظاهر الحكم الذاتى لسكان امريكا فى ظل التاج البريطانى، وازداد الشعور بالانتماء القومى لدى سكان هذه المستعمرات،

وإزداد الاحساس بأنهم لايقلون كفاءة فى ادارة شئونهم عن الحكام الانجليز، ولكن نظرا لرفض ملوك انجلترا أعطاءهم هذا الحق واصرارهم على التطبيق الصارم للقوانين التى تصدرها بريطانيا فقد تريث سكان هذه المستعمرات بعض الوقت، وعندما أصرت انجلترا على فرض الضرائب على سكان هذه البلاد دون الرجوع إلى المجلس النيابى اعترض المستوطنون على القيود والضرائب المفروضة عليهم وطالبوا بضرورة الرجوع إلى مجالسهم التشريعية، غير ان الحكومة البريطانية لم تلق لهم بالا، خاصة وأنها كانت فى حاجة إلى فرض الضرائب لمجابهة نفقات الدفاع والانفاق على الجنود الانجليز فى أمريكا، ولما فرضت الحكومة البريطانية "ضريبة التمغة" Stamp Act فى عام ١٧٦٥ والتى تحتم وضع طوابع ذات فئات معينة تتراوح بين ستة بنسات وستة جنيهات على العقود والأوراق القانونية والرخص والأوراق الخاصة بالمعاملات التجارية وغيرها وأن تجمع هذه المبالغ لصالح الحكومة رفضها الأمريكيون وتمسكوا بضرورة أخذ رأيهم فى فرض الضرائب، ومن أجل ذلك عقدوا مؤتمرا فى نيوريوك فى عام ١٧٦٥ اشتركت فيه تسع ولايات أمريكية، وكان أهم قراراته مطالبة الحكومة البريطانية بالغاء هذه الضريبة وفى اثناء ذلك قام الأهالى بمقاطعة البضائع الانجليزية وتحطيم وحرق صناديق الطوابع، ولتهدئة الموقف اضطر الانجليز إلى الموافقة على إلغاء هذه الضريبة ولكنهم تمسكوا بحق البرلمان الانجليزى فرض أية ضرائب أخرى على المستعمرات فى كل الأحوال مهما كانت، مما جعل الخلاف محتدما وخاصة بعد أن فرضت الحكومة الانجليزية عدة ضرائب على الزيت والنبيذ والزجاج والورق واستيراد الشاى، مما زاد من احتجاج الأمريكيين، وبدأ احتكاكهم بالانجليز يتزايد فعارضوا هذه الضرائب وبدأوا يتهربون منها فاستعاضوا عن استيراد الشاى بشراء المهرب منه عن طريق الهولنديين، ولكن الانجليز حاولوا اجبارهم على شراء الشاى من شركة الهند الشرقية التى كان أثرياء بريطانيا من المساهمين فيها ولما حاول الانجليز نقل كميات كبيرة من الشاى من لندن إلى بوسطن، وبعض الموانى الأمريكية الأخرى لاجبار الأهالى على شرائه ألقى سكان بوسطن فى ديسمبر ١٧٧٣ بحمولات ثلاث سفن انجليزية محملة بالشاى فى البحر حيث كانوا فى زى انهنود الحمر، وصعدوا إلى مراكب التفريغ وقذفوا بالشحنة إلى البحر أمام جمهرة من الأهالى المشجعين لهم وتعرف هذه الحادثة فى التاريخ الأمريكى بحادثة "حفل الشاى" ونتيجة لذلك ثارت ثائرة الانجليز لتلك الاهانة وقادوا حملة لحمل البرلمان على اتخاذ

اجراءات حاسمة انتهت باغلاق ميناء بوسطن فى وجه التجارة، وانزال العقاب بسكانه مما أدى إلى تفجر الموقف وتأسيس اللجان المناهضة للانجليز واندلاع الشرارة التى اشعلت نار الحرب بين السكان وبريطانيا وبخاصة بعد أن انضمت العديد من الولايات الأمريكية إلى سكان بوسطن فى موقفهم المعادى للانجليز، وأعلنت أن الاعتداء على أية ولاية أمريكية يعتبر اعتداء على جميع الولايات فتم عقد مؤتمر فى "فيلا دلفيا" فى عام ١٧٧٤ حضره "جورج واشنجطن"، ومن خلاله تأسس الكونجرس الأمريكى الأول من مندوبى الولايات، وكانت من أهم قراراته، تحذير الحكومة الانجليزية من أن تصرفاتها تجاه المستعمرات الأمريكية سيؤدى إلى الأضرار بمصالحها والاحتجاج على الاجراءات التعسفية التى تتخذها الحكومة الانجليزية ضد سكان بوسطن ومع ذلك لم تأبه الحكومة البريطانية بهذا التحذير، بل استمرت فى ارسال قواتها إلى "بوسطن" فى محاولة لتأديب أهلها الذين قامّوا بالقاء الشاى المحمول على سفن انجليزية فى البحر، مما دفع سكان الولايات الأمريكية إلى الاستعداد للحرب حتى يتم استقلالهم عن انجلترا، فعقدوا اجتماعا آخر فى "فلادلفيا" عام ١٧٧٥ اتفقوا فيه على تأليف جيش أمريكى موحد، لكل الولايات كما ناشدوا الملك " جورج الثالث" بالكف عن الاجراءات التعسفية لحكومته حتى يظلون رعايا مخلصون له، ولكنه أصر على تشبثه بحقوقه المطلقة على المستعمرات الأمريكية، كما أصر على ضرب الحركات الثورية بها، ونتيجة لذلك قبلت الولايات الأمريكية التحدى وأعلنت أنها فى حالة حرب مع انجلترا وعين الكونجرس "جورج واشنطن" فى ١٥ يونية ١٧٧٥، قائدا عاما لقوات المستعمرات الثلاث عشرة ليس لكونه مجرد رجل حرب يجيد فن التكتيك والاستراتيجية العسكرية، أو لأنه كان أفصح المتكلمين فى المؤتمر بل لما توسموه فيه من الحكمة والكفاية والاستعداد للبذل والتضحية، والقدرة على ادارة دفه هذه الحرب.

والجدير بالذكر أنه لما قامت الحرب الفعلية بين انجلترا"ومستعمراتها الأمريكية فى عام ١٧٧٥ أى بعد حادث بوسطن بعام ونصف لم يكن سكان المستعمرات يهدفون من حربهم إلى الانفصال عن انجلترا، بل ظلوا يخاطبون ملك بريطانيا بالملك الصالح، ولم يكن هدفهم سوى الحصول على استقلال داخلى ضمن السيادة البريطانية، وقد أكد ذلك "جورج واشنجطن" فى عام ١٧٧٤ بقوله " أنه لايوجد فى أمريكا الشمالية رجل عاقل واحد يرغب فى الاستقلال".

وفيما يلى نعرض لشخصية واشنجطن التى ارتبط بها تاريخ استقلال الولايات المتحدة الأمريكية.

ولد جورج واشنجطن فى احدى قرى أمريكا الشمالية بولاية "فرجينيا" فى الثانى والعشرين من فبراير ١٧٣٢ من أسرة كان جل اهتمامها بالزراعة.

وقد شارك جورج والده فى الأعمال الزراعية ورعى البقر فى المرحلة الأولى من حياته، وكان محبا لركوب الخيل، كما تلقى تعليما متوسطا فى مسقط رأسه، فبرز نبوغه الطبيعى، وتفوق على أقرانه، وكان قد تعلم الانجليزية ثم عكف على دراسة الفرنسية، ولكنه لم يوفق فى الالمام بها كما يجب.

وقد انتخب "جورج واشنطن" نائبا لولاية فرجينيا واستمر فى هذا المنصب خمس عشرة عاما ظهرت فيها صفاته واخلاقه واضحة مما اكسبه محبة مواطنيه واحترامهم، وكان كل يوم يزداد اعتبارا ووقارا فى قلوبهم خاصة وأنه كان يكره التملق والرياء كما كان صريحا ينفر من الكذب وطرق المخاتلة والخداع، وفوق ذلك كان متدينا يهوى القراءة فى الأناجيل.

وفى عام ١٧٥٠ عين واشنجطن قائدا لاحدى المناطق العسكرية فى ولاية "فرجينيا" ثم تدرج فى المناصب العسكرية حتى وصل إلى منصب قائد للفرق العسكرية الوطنية عام ١٧٥٥ ثم اعتزل الخدمة العسكرية عام ١٧٥٨ وانتخب عضوا فى ولايته.

وعندما حدثت المناوشات والاشتباكات بين الانجليز والأمريكيين بالقرب من بوسطن بسبب اغراق السفن الانجليزية المحملة بالشاى عقد مؤتمر فى "فيلا دلفيا" عام ١٧٧٦ لمناقشة هذا الموقف وانتخب فيه جورج واشنجطن قائدا لقوات الحرس الوطنى، وهو فى الثالثة والأربعين من عمره، وكان ذلك بداية الصعود إلى القمة وقد سار واشنجطن بجنده إلى "نيويورك"، "فكمبردج" وغيرها وكان حيثما حل يجد الأمريكان قائمين على قدم وساق من أجل الاستقلال.

وقد نجح واشنجطون فى اعداد جيش قوى متماسك وقادر على الصمود فى وجه القوات الغازية ومع أن الانجليز فرضوا حصارا بحريا على المستعمرات الأمريكية لتثبيط همم السكان وأضعاف روحهم المعنوية فان ذلك لم يثن من عزيمة واشنجطن بل زاد من مثابرته واستعداده ضد الانجليز.

وعندما بدأت الحرب بين الطرفين برزت خلالها مقدرة واشنجطون القيادية وكفايته وأقدامه الحذر وعدم اعترافه باليأس بل أنه كان يتعلم من الهزيمة ويعيد ترتيباته وحساباته فعندما سارت الحملة الأولى لضرب "بوسطن" وكان الأمريكيون فى قلة من المؤن والذخائر والرجال ولم يكن لديهم جيش كبير منظم ظهرت براعة واشنجطون وحكمته، فصبر صبر الرجال حتى اعتاد تنظيم جيشه واستعد لملاقاه عدوه، وفى مارس ١٧٧٦ هاجم حصن بوستون وهدده باطلاق النار إذا لم يسلم، كما أوعز بأنه يملك من القوات والعتاد ما لا طاقة لأعدائه به مما أدى إلى تسليم الحصن وانسحاب الانجليز منه فى مارس ١٧٧٦ ودخول واشنجطون مدينة "بوسطن" ظافرا مع ما كان فيه من صعوبة المركز، وقلة الجند بالنسبة للانجليز.

وسار واشنجطون بعد ذلك إلى فيلا دلفيا واجتمع مجلس الأمة، وتفاوضوا فى طريقة يتوسلون بها إلى اصلاح ذات البين بينهم وبين انجلترا رعاية لسلطانها، وكان رأى واشنجطون فى ذلك " أننا لا نستطيع القيام بمطالب انجلترا، وليس لنا أمل بعقد الصلح معها فأما أن نجمع كلمتنا وندافع عن وطننا إلى آخر نسمة من حياتنا وأما أن نضع أعناقنا تحت أقدام الانجليز، ونقول على الحرية وأهلها السلام"، فوافقه المجلس على رأيه وأخذ العدة من أجل الدفاع.

ولما قدم الانجليز بأسطولهم لضرب مدينة نيويورك تقدم واشنجطون بما لديه من جنود لمواجهتهم، وصمدت نيويورك أمام الانجليز، وفى أثناء ذلك أجتمع مجلس الأمة الأمريكى، وأعلن استقلال الولايات المتحدة فى ٤ يوليو ١٧٧٦ وانفصالها عن بريطانيا، فاحتج الانجليز على ذلك واعتبروه عصيانا وأرسلت بريطانيا حملاتها التأديبية إلى أمريكا، فصمد ثوارها فى معظم الميادين حوالى ست سنوات وساعدهم على ذلك اتحادهم وطبيعة بلادهم الواسعة وتكتيكهم العسكرى الفذ، حيث قسموا قواتهم إلى عدة جيوش للاحاطة بالانجليز من كل جانب فإذا أنزل الانجليز هزيمة بأحد جيوشهم ظهر لهم جيش أمريكى آخر على بعد أميال قليلة، يضاف إلى ذلك ما قدمته فرنسا بوجه خاص وأسبانيا وهولنده بوجه عام من مساعدات للثوار فقد كانت فرنسا سباقه إلى مد يد العون للأمريكيين وكان الضابط الفرنسى "لافييت" من أوائل المتطوعين لمساندة أمريكا فى حربها يضاف إلى ذلك تزايد عطف الرأى

العام الأوربى على مبادئ الثورة الأمريكية مما جعل الانجليز عاجزين عن اخضاع الثورة المتسعة الأرجاء خاصة وأن نقل قواتهم عبر المحيط كان يكلفهم الكثير من النفقات.

ونتيجة لتوالى انتصارت الثوار ارتد القائد الانجليزى "كورنواليس" إلى "يوركتون" Yorktwn وهناك هاجمة واشنطن بمساعدة بعض الفرنسيين حتى تمت هزيمته فى أكتوبر عام ١٧٨١، ولم يبق أمام الأمريكيين سوى تحرير نيويورك.

ونظرا لما لاقته بريطانيا من هزائم اضطرت إلى توقيع الصلح فعقدت معاهدة فى عام ١٧٨٣ اعترفت بها بريطانيا باستقلال الولايات المتحدة على أساس اعتبار نهر المسيسبى هو حدها الغربى، كما وافقت على حق الأمريكيين فى الصيد تجاه الساحل الكندى.

ومنذ ذلك التاريخ أصبحت المستعمرات الأمريكية الثلاثة عشرة مستقلة واتخذت لنفسها اسم الولايات المتحدة وعين جورج واشنجطون أول رئيس للولايات المتحدة ونهض ببلاده بطريقة اكسبته محبة الأمريكيين واحترامهم، كما أنه كان أكثر ميولا إلى المبادئ والتقاليد المحافظة. وخلال ذلك بدأت مرحلة البناء الداخلى فى ظل الاستقلال، وقد استهلها الامريكيون بوضع دستور جديد يضمن لهم الحرية والديمقراطية كما أرادوها .

وقد أعقب ذلك تحسن العلاقة بين أمريكا وبريطانيا وعلى الرغم من أن واشنجطون قد اتخذ موقف الحياد فى علاقته مع كل من بريطانيا وفرنسا أثناء الحرب بينهما، فان هذا الحياد كان مشوبا بالود نحو بريطانيا خصوصا وأن مصالح أمريكا التجارية حتمت الاتجاه أكثر نحو بريطانيا، ونظرا لاستيلاء فرنسا فى عهد بونابرت على مستعمرة "لويزيانا" التى كانت الولايات المتحدة تتطلع إلى ضمها إليها ساعت العلاقات بين الدولتين حتى حصلت الولايات المتحدة عن طريق الشراء على هذه المستعمرة فكسبت فرنسا علاقات طيبة مع الولايات المتحدة.

وفى حين كانت الولايات المتحدة تحقق لنفسها وحدة أراضيها واستقلالها كانت أوربا خاصة انجلترا وفرنسا فى حروب ضارية لم تنته الا بسقوط نابليون وأمبراطوريته.